

رواية المصير في الحبس
رهن المستعجل

القوة 1



Looloo

www.dvd4arab.com

١ - لقاء في المغرب ..

تسللت أشعة الشمس الدافئة ، غير زجاج النافذة
الواسعة ، لتداعب وجه رجل استغرق في نوم عميق ، داخل
الجناح الملكي بمستشفى (الرباط) المركزي ، وامتدت
أنامل رقيقة تمس في إشفاق جبينه مساً رقيقاً ، ففتح عينيه في
بظء وتكاسل ، ولم يكذب بصره يقع على صاحبة الأنامل
الرقيقة ، حتى ابتسم ابتسامة زادت من وسامته ، وقال في
صوت لم يفارقه النعاس بعد :

— صباح الخير يا عزيزتي (منى) ، كم هو جميل أن
يكون وجهك أول ما يظالعي في الصباح .

ابتسمت النقيب (منى توفيق) ، وقالت في صوت
خافت :

— كيف حالك هذا الصباح يا (أدهم) ؟

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق
عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة
التجارب العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق



أطلق (أدهم صبرى) ضحكته الساخرة المألوفة .
وقال :

— فى خير حال يا عزيزى ، وأعدك لك مفاجأة سارة .
جلست (منى) فوق مقعد قريب ، وقالت فى صوت
أقرب إلى الهمس :

— إننى أتوق لمعرفةها .

وفى حركة مفاجئة رشيقة ، أزاح (أدهم) أغطية
الفرش ، ثم نهض واقفاً على قدميه ، فانسعت عيناه (منى)
فى دهشة تمتزج بالفرح ، وأخذت تتقل عينيهما غير مصدقة
ما بين قدميه ، ووجهه الذى ارتسمت فوقه ابتسامة
هادئة ، ثم قفزت من مقعدها ، هاتفة :

— مستحيل ، لست أصدق ما أراه .. إنك تقف على
قدميك يا (أدهم) ، لقد نجحت فى هزيمة إصابتك* .
ابتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الرمال المحرقة) .. المغامرة رقم (٣٠) .

— لست معجزة يا عزيزى ، إننى أوصل التدريب
سراً منذ ثلاثة أيام ، ولكننى لم أشأ إخبارك ، خشية أن
أفشل فى تحريك قدمى .

انهمرت دموع السعادة من عيني (منى) ، وعجزت
عن النطق ، وفى نفس اللحظة ارتفع صوت طرقات منتظمة
على باب الغرفة ، فقال (أدهم) فى هدوء :

— ادخل يا من بالباب .

فتح الباب فى هدوء ، وظهر على عتبة رجل بدين
ضخم الحجم ، ولم تكده عيناه تقعان على (أدهم) حتى
تسمر فى مكانه ، واتسعت عيناه ذهولاً ، على حين أشرق
وجه (أدهم) فى سعادة وهو يهتف :

— (قدرى) ؟ يا لها من مفاجأة سارة !!

اندفع (قدرى) نحو (أدهم) ، وعانقه فى حرارة
صائحة :

— يا لها من مفاجأة !! لقد أخبرنى السيد المدير أنك
لن تسير على قدميك قبل شهر كامل .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وقالت (منى) في سعادة :
— هذا القول لا ينطبق على (رجل المستحيل)
يا (قدرى) ، لقد حطّم (أدهم) قوانين العلاج الطبيّ هذه
المرّة .

التفت إليها (قدرى) في دهشة ، وكأنه تنبّه إلى وجودها
لأوّل مرّة ، ثم صافحها في قوّة ، وهو يهتف في سعادة :
— معذرة يا (منى) ، لقد أنستى المفاجأة
مصافحتك .

ضحكت (منى) وهي تقول :

— زُوَيْدِكَ يا (قدرى) ، إنك تحطّم يدي .

فهقّه (قدرى) ضاحكاً ، واهتزّ جسده البدين وهو
يقول :

— مغذّرة يا (منى) ، كنت أظنّ الجوع قد حطّم قواي .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول مداعباً :

— إن الفيل في أشدّ لحظات ضعفه ، لا يمكنه مصافحة

عصفور يا صديقي .

انطلق (قدرى) ضاحكاً في قوّة ، ثم رفع حقيقته أمام
وجه (أدهم) ، قائلاً :

— هل تعلم ماذا أحمل لك ؟

قال (أدهم) :

— دعني أحصن ، أهو فيل أبيض صغير ؟

فهقه (قدرى) ضاحكاً ، وألقى جسده البدين فوق
مقعد متواضع ، كاد ينهار تحت ثقله البالغ ، ثم قال وهو
يفتح الحقيبة في سرعة ، ويتناول منها ملفاً أحمر اللون :

— إنها قصة قديمة ، ستعيد إليك ذكريات بعيدة ، إنها

ملفّ أول عمليّاتك الرسميّة في عالم الأخبارات .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يجلس على طرف فراشه :

— هل تقصد عملية | القوّة (أ) | ؟

هزّ (قدرى) رأسه الضخم إيجاباً ، وقال :

— إنك تذكر هذه العمليّة إذن !! .. لقد أعارني

المدير هذا الملفّ ، وسنظالعه معا ..

سألته (منى) في اهتمام :

— مهلاً يا صديقي ، لا تفسد علينا قراءة المغامرة .
 سنبدا الأمر من أوله .
 ثم التفت إلى (منى) ، وقال :
 — هلمَّ يا صديقتي ، كلِّي آذان صاغية .
 ابتسمت (منى) وتنهَّدت ، ثم بدأت قراءة ملف عملية
 [القوة (أ)] .

* * *



— ما عملية [القوة (أ)] هذه ؟
 ابتسم (قدرى) ، وقال :
 — إنها مغامرة رائعة ، قام بها (رجل المستحيل)
 يا (منى) .
 صاحت (منى) في لُحفة :
 — يا إلهي !! كم أتمنى سماعها .
 ناو لها (قدرى) الملف ، وهو يقول :
 — ستقرئينها على مسامعنا يا (منى) ، فأنا أودّ أن
 انصت فقط هذه المرّة .
 فتحت (منى) أولى صفحات الملف ، على حين قال
 (أدهم) وهو يتسم في هدوء :
 — لقد كان ذلك في الشهور الأولى من عام ألف
 وتسعمائة وأربعة وسبعين يا (منى) ، كنت حينذاك
 قد انضمت رسمياً إلى الخطابات المصرية برتبة
 نقيب و
 قاطعه (قدرى) قائلاً :

رفع النقيب (أدهم صبرى) يده بالتحية العسكرية ،
 أمام مدير المخابرات المصرية ، الذى اُتسم وهو يشير إليه
 بالجلوس ، قائلا :
 — إننا لا نتبادل التحية العسكرية هنا أيها النقيب ،
 فجميعكم تتحلون صفات مدنية . وليس من المفضل
 اعتيادكم ذلك .

جلس (أدهم) وهو يقول :

— معذرة ياسيدى ، لقد طلبت على وجه السرعة
 هز مدير المخابرات رأسه إيجاباً ، وقال :

— هذا صحيح أيها النقيب . لقد أثبت تفوقاً

رائعاً فى تدريبات رجال المخابرات ، ويمكن القول إنك
 أذهلت أساتذتك ، ومعلميك بقدرتك الخرافية على
 الاستيعاب والتقدم ، حتى أنهم أطلقوا عليك اسم (رجل
 المستحيل) .

غمغم (أدهم) فى هدوء :

— إنها مبالغة ياسيدى .

ابتسم مدير المخابرات قائلاً :

— ليس هناك مجال للمبالغة ، أو الجاملة فى عالم

المخابرات أيها النقيب ، فكل معلومة — ولو صغيرة ،

تخضع للمبالغة ، أو الجاملة — قد يكون ثمنها أمن مصر

بأكملها .

عاد (أدهم) يغمغم :

— هذا صحيح ياسيدى .

صمت مدير المخابرات لحظات ، وأخذ يعيث بيضع

أوراق أمامه ، ثم قال :

— المخابرات الإسرائيلية لا تريد أن تتوقف عن القتال ،

برغم هزيمة الجيش الإسرائيلى أمامنا فى أكتوبر أيها النقيب .

قال (أدهم) ، فى لهجة خرجت على الرغم منه ساخرة

متكئة :

— إنه مزيج من الفرور والعناد ياسيدى .

مطّ مدير المخابرات شفّيته ، وقال :

— بل هو أكثر من ذلك أيها النقيب ، إنه الانتقام .

رفع (أدهم) عينيه إلى رئيسه في تساؤل ، فاستطرد

مدير المخابرات قائلاً :

— لقد نظّمت المخابرات الإسرائيلية حُطّة انتقامية

دموية ، لاستعادة تفوّقها الإعلامى ، بعد الهزيمة الساحقة

لها في حرب أكتوبر ، وهذه الحُطّة تعتمد على القضاء على

عدد كبير من الدبلوماسيين المصريين ، والسوريين في

الخارج ، وإحاطة حوادث الاغتيال هذه بضجّة إعلامية

تؤكد قدرة (الموساد) .

غمغم (أدهم) في حلق :

— يا للخسة !!

أزّدف مدير المخابرات :

— ومن أجل هذه الحُطّة الدموية ، أنشأ (الموساد)

شبكة خاصّة وسط (أوروبا) ، تقتصر مهمتها على هذه

الاغتيالات السياسية ، ولقد بدأت هذه الشبكة عملها

باغتيال دبلوماسى مصرى فى (إيطاليا) ، وآخر سورى فى

(إنجلترا) ، ويطلقون على هذه الشبكة اسم القوة

(أ) .

غمغم (أدهم) ، ساخرًا :

— هى شبكة عالمية إذن .

قال مدير المخابرات :

— ولكنها تلقى أوامرها من مكان ما فى قلب (باريس)

أيها النقيب ، ونحن لم نتوصّل بعد إلى رأس الأفعى هذا ،

وهذه هى مهمتك .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) :

— هل سأعمل وحدى ياسيدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، قائلاً :

— هذا ما أوصى به مدربوك أيها النقيب .

نهض (أدهم) ، وقال فى حزم :

— فليكن ياسيدى ، سأتولّى وحدى مهمة القضاء

على القوة (أ) ، وسأتم ذلك بإذن الله .

تأمله مدير المخابرات في إعجاب ، وقال :
— هذا ما أنتظره منك أيها النقيب ، فلا بد أن تُثبت
أحققتك بلقب (رجل المستحيل) .



٣ — الشبكة الدموية ..

أغلق (أدهم صبرى) عينيه متظاهراً بالنوم ، في الطائرة
التي تحمله من القاهرة إلى (باريس) ، وعاد عقله يسترجع
المعلومات التي حصل عليها عن [القوة (أ)] ، كانت
المعلومات المتوافرة قليلة نسيباً ، فكل ما لدى المخابرات
المصرية عن الأمر يتلخص في أن المركز الرئيسى للقوة في قلب
(باريس) ، عاصمة النور ، والجمال ، والفن .. وأن
الأوامر الرئيسية الخاصة باسم وشكل وعنوان الشخص
المراد اغتياله ، يتم نقلها عن طريق ملهى ليلى صغير في
شارع (بيجال) ، ولكن كل وسائل المراقبة والتحرى لم
يمكنها كشف وسيلة وصول تلك الأوامر إلى الملهى ، وإن
كان هناك ما يؤكد وجود مكان رئيسى آخر تصدر منه
الأوامر .

ولقد حرصت المخابرات المصرية على كتم ما لديها من

معلومات ، وعدم القيام بإجراء قوى ؛ لأن هذا قد يؤدي فقط إلى تغيير نقطة نقل الأوامر ، لا إلى القضاء على [القوة (أ)] نفسها ، ومن هنا كانت ضرورة إرسال رجل مثل (أدهم صبرى) ملءً فجوة المعلومات ، واتخاذ الإجراء المناسب لإيقاف عمل [القوة (أ)] ، أو تحطيمها تمامًا ، لم يكن عملاً هيئياً ، ولكن (أدهم) كان يعلم نقطة البداية ، حيث ينبغي أن يبدأ عمله وتحرياته في ذلك الملهى الصغير بشارع (بيجال) في قلب (باريس) .

توقفت أفكار (أدهم) ، حينما ارتفع صوت مضيئة الطائرة يعلن وصولها إلى (باريس) ، ففتح (أدهم) عينيه ، وغمغم في سخرية :

— فلتس النوم من هذه اللحظة ، وحتى نهاية المهمة يا (أدهم صبرى) .

توقفت سيارة رياضية أنيقة من نوع (البورش) ، أمام الملهى الألبى (سوار) ، في منتصف شارع (بيجال) ،

وهبط منها (أدهم صبرى) مرتدياً حُلَّةً أنيقة سوداء اللون ، ورباط عنق صغير أنيق زاده وسامة ، وتحرك في خطوات هادئة رزينة نحو باب الملهى ، حيث أسرع حارس الملهى يفتح أمامه الباب الزجاجي ، وهو يبنى نفسه بإكرامية كبيرة ؛ إذ كان شكل (أدهم) ، وسيارته الأنيقة يوحيان بأنه شابٌ بالغ الثراء ، ولم يصدّق الحارس عينيه ، حينما وضع (أدهم) في يده ورقة مالية كبيرة ، في بساطة تتم عن اعتياد صاحبها دفع مثل هذه المبالغ ..

ولم يكذب (أدهم) بخطو داخل الملهى حتى توجه من فوره إلى مائدة القمار ، وسأل الرجل الذى يديرها في فرنسية سليمة :

— هل هناك مقعد لى ؟

تأمل الرجل وسامة (أدهم) وأناقته ، ثم قال وهو يحسبه فرنسيًا خالصًا :

— يبدأ اللعب هنا بخمسة آلاف فرنك يا مسيو (....)

قال (أدهم) في لهجة توحى بالاستهتار :

— (ميشيل) .. (ميشيل رونيه) يا صديقي ،
والآن .. هل هناك مقعد لي ؟

ابتسم الرجل وهو يشير إلى مقعد يتوسط المائدة ،
فجلس (أدهم) في هدوء ، وأخرج من سترته رزمة من
الأوراق المالية ذات الحجم الكبير ، تناول منها بضعة أوراق
تزيد قيمتها على عشرة آلاف فرنك ، ألقاها على المائدة في
استهتار ، وهو يقول بفرنسيته السليمة :

— كل هذا على رقم (سبعة) .

نظر إليه باقي اللاعبين في دهشة ، فلم يكن من المعتاد
أن يبدأ شخص ما مراهنته بمثل هذا المبلغ الضخم ،
وازدادت دهشتهم حينما تقبل (أدهم) خسارته في لامبالاة ،
ثم ألقى على المائدة مبلغاً مماثلاً ، وقال :

— فلنراهن على رقم (تسعة) إذن .

وللمرة الثانية خسر (أدهم) ذلك المبلغ الضخم ، وفي
هذه المرة تلاشت لامبالاته ، وبدأ القلق يسرى في ملامحه ،
وهو يضع خمسة آلاف فرنك أخرى ، قائلاً في صوت فارقه
الاستهتار :



ولم يكذب (أدهم) بخطو داخل الملهى حتى توجه
من فسوره إلى مائدة القمار ..

— فليكن رقم (واحد) هذه المرة .

ومع الخسارة الثالثة بدأ التوثر يظهر في وجه (أدهم) ،
وصوته ، وارتجافة أصابعه ، وهو يتناول خمسة آلاف فرنك
أخرى من الرزمة التي تناقصت كثيرا ، وقال في صوت
مفعم بالقلق :

— الرقم (ثلاثة) .

ابتسم اللاعبون في شماعة حينما خسر (أدهم) هذا المبلغ
أيضا ، وحل رباط عنقه الصغير ، وأخذ يحفّف عرفاً وهمياً
من فوق جبينه ، وهو يضع ما بقي من الرزمة المالية على
مائدة القمار ، قائلاً في صوت مرتجف :

— لن أخسر طوال الوقت ، سيريح الرقم (عشرة)

هذه المرة .

دارت عجلة (الروليت) في هدوء ، ثم توقفت الكرة
على الرقم (خمسة) ، وارتعدت أطراف (أدهم) وهو ينهض
من مقعده ، والهزيمة ترتسم في كل خلجة من خلجاته ، كان
يحيد تمثيل دوره إلى درجة يعجز عنها أعظم ممثلي السينما

العالمية ، حتى أن ذلك الانهيار الذي تظاهر به أثار الشفقة
في نفوس بعض اللاعبين ، على حين أثار سخرة البعض
الأخر ، وتعمد هو أن يبدو صوته مسموعا بعض الشيء ،
وهو يميل على أذن القائم باللعبة هامسا :

— هل يمكنى مقابلة المدير ؟ قد يمكنى الاتفاق معه

و

لم ينتظر الرجل حتى ينتهى (أدهم) من عبارته ، بل
أشار إلى غرفة صغيرة في ركن الملهى . ثم عاد يولى اهتمامه
شطر المائدة الملعونة ، التي يعثر عليها الأغنياء نقودهم ،
على حين توجه (أدهم) في خطوات مرتبكة متعثرة إلى
الحجرة التي أشار إليها الرجل ، وقال للحارس الضخم
الذي يقف أمامها :

— هل يمكنى مقابلة المدير ؟ لقد خسرت مبلغا

ضخماً و ...

قاطعته الرجل ، وقال وهو يتسم ابتسامة مقبّية :

— لا أحد يمكنه استرداد خسارته يا مسيو ، إن أحدا

لم يجبرك على اللعب .

قال (أدهم) في لهجة عصبية :

— ومن طلب استرداد خسائره ؟ سأحصل على بعض المال مقابل سيارتي .

ابتسم الحارس الضخم ابتسامة الرجل الذي اعتاد مثل هذه الأمور ، وتحرك جانبا ليُسمح له (أدهم) بالمرور .. وعلى الفور دخل (أدهم) إلى حجرة المدير ، وأغلق الباب خلفه .

رفع إليه المدير رأسه في هدوء ، وسأله :

— ماذا تريد يا ميسيو ؟

أجاب (أدهم) في لهجة توحى بالتوتر :

— (ميشيل رونييه) ياسيدى .. لقد خسرت أموالى

كلها هنا و

قاطعته المدير ، قائلا في برود :

— وماذا بعد ؟

تظاهر (أدهم) بالارتباك ، وهو يقول :

— إن لدى سيارة ، سيارة حديثة من طراز

(بورش) .. .

قاطعته المدير ، قائلا في برود :

— كم تطلب ثمنها ؟

صمت (أدهم) لحظة ، وكأنه يتردد في القول ، ثم قال

في صوت يلوح للإنسان فيه رنة الرجاء :

— إنها تساوى مليون فرنك يا ميسيو ...

قاطعته المدير (فرانسوا) ، قائلا :

— ما رأيك في مائة ألف فرنك ؟

تظاهر (أدهم) بالدهشة ، وهو يهتف :

— مائة ألف فرنك ؟! إن ذلك لا يساوى ثمن سيارة

قديمة و

نهض (فرانسوا) ، وهو يقول في لهجة توحى بالضجر :

— هذا كل ما يمكننى أن أدفعه .

كان هناك رجل نحيل ، أشقر الشعر ، يقف إلى جوار

المدير ، فقال عند هذه النقطة :

— هل أطرده يا ميسيو (فرانسوا) ؟

مطأ (فرانسوا) شفتيه في اشمزاز ، وقال وهو يلوح

بكفه لامباليا :

— افعل يا (الآن) إننى أكره الرجال المترددين .
ارتسمت ابتسامه خبيثة ساخرة على وجه (الآن) ،
وتقدم نحو (أدهم) ، قائلاً فى لهجة جافة تموج بالغرسة :
— هيا إلى الخارج أيها الوسيم .

وفجأة .. دار (أدهم) على عقيقه ، وتحركت ذراعاه فى
سرعة خرافية ، لتهى قبضته كالقنبلة على فك (الآن) ،
الذى اختلط الألم بالدهشة على ملامحه وهو يترشح من هول
الضربة ، ولكن (أدهم) عاجله بلكمة ثانية غاصت فى
معدته ، ثم ثالثة هشمت أنفه ، وألقت به إلى ركن الحجره ،
ثم قفز (أدهم) محتطفاً فتأحة الخطابات المعدنية من فوق
مكتب (فرانسوا) .. وقبل أن يخطو هذا الأخير خطوة
واحدة ، كان طرف الفتاحة المدبب لصق عنقه ، وسمع
صوت (أدهم) يقول فى حزم :

— أريد كل ما خسرت على موائدك اللعينة يامسيو
(فرانسوا) ، وإلا غرست هذا التصل بأكملة فى عنقك .
وبدلاً من أن يبدو الخوف فى عيني (فرانسوا) ، ابتسم

فى خبيث ، وقال وهو يتفرد فى ملامح (أدهم) جيئداً :
— هل ستقتلنى من أجل بضعة مئات من الفرنكات
يامسيو (ميشيل) ؟

كاد (أدهم) ينفجر ضاحكاً عند هذه النقطة ؛ إذ
أنبأته غريزته أن الصنارة التى ألقاها قد اقتصت صيدها ،
فقال فى لهجة جافة :

— نعم يامسيو (فرانسوا) ، سأقتلك دون تردّد .
اتسعت ابتسامه (فرانسوا) الخبيثة ، وهو يقول وكأنما
يحادث نفسه :

— إذن فأنت مستعد لقتل رجل من أجل المال يامسيو
(ميشيل) .

قال (أدهم) فى لهجة أرادها قاسية :

— وهل هناك ما يفوق المال أيها الرجل ؟

صاح (فرانسوا) فى لهجة مرحة مفاجئة :

— هذا عظيم ، عظيم للغاية .

تظاهر (أدهم) بالدهشة ، وهو يتبول :

أطلق (فرانسوا) ضحكة خبيثة عالية ، وقال :
 — ليس مجرد قتل عادى يا (ميشيل) ، إنك ستتضم
 إلى واحدة من أكبر شبكات القتل في العالم ، ولو أنك
 نجحت في أولى مهامك فساضمن لك الانضمام إلى
 مايسمى بـ [القوة (أ)] .



— عظيم أنى سأقتلك يا مسيو (فرانسوا) ؟
 ترك (أدهم) (فرانسوا) يزيغ يده ، قائلاً :
 — سأعطيك ما خسرت من مال يا مسيو (ميشيل) ،
 ولكننى سأحدث معك حديثاً هاماً ، يتعلّق بالمال أيضاً .
 ثم تناول من مكتبه رزمة أوراق نقدية ، ألقى بها إلى
 (أدهم) قائلاً :

— هذه الرزمة تحوى مائة ألف فرنك ، وهى تفوق
 بلا شك ما خسرت ههنا .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، قائلاً :

— ولِمَ هذا الكرم المفاجئ يا مسيو (فرانسوا) ؟

ابتسم (فرانسوا) ابتسامته الخبيثة ، وقال :

— الأمر لا يتعلّق بالكرم يا مسيو (ميشيل) ، إن المبلغ

الإضافى هو عربون لعمل سأطلب منك القيام به .

جلس (أدهم) على المقعد المواجه للمكتب ، وقال في

تهكم :

— دغنى أحمّن .. هل يتعلّق الأمر بقتل شخص ما ؟

٤ — ملك الاغتيالات ..

هبط الدبلوماسي المصري (رءوف سعادة) من سيارته ، وتوجه في خطوات هادئة بطينة إلى مبنى السفارة المصرية ، وفجأة تحرك شاب وسيم ، يقف إلى جانب سور السفارة ، واقترب من الدبلوماسي في خطوات سريعة ، وقبل أن يتحرك أحد رجال الحرس ، أخرج الشاب مسدسه ، وأطلق منه ثلاث طلقات متتالية أصابت الدبلوماسي المصري ، الذي سقط مضرّجاً في دمانه ، ثم استدار الشاب



وأطلق رصاصاته على رجال الحراسة ، وانطلق يعدو كالشيطان متجاوزاً الشارع ، وانحرف في طريق جانبي ، حيث قفز في سيارة صغيرة ، انطلق بها بسرعة الصاروخ ، ولم يكذب يتعد حتى أطلق ضحكة ساخرة عالية ، وغمغم في لهجة تمكّمية :

— تمثيلية رائعة .. لقد أجاد الجميع أدوارهم ، كما لو كنا على مسرح (رمسيس) ، في قصة من إخراج (يوسف وهبي) نفسه ، لقد سقط (رءوف) ، وكأن تلك الأكياس الدموية التي أصابته رصاصات حقيقية ، وهؤلاء الحراس أيضاً تصرفوا بذكاء ، لقد نجحنا في خداع القوة (١) | هذه المرة .

أطلق (فرانسوا) ضحكة عالية ، وقذف إلى (أدهم) رزمة كبيرة من الأوراق المالية قائلاً :

— رانع يا (ميشيل) .. لقد نفذت عمليتك الأولى بنجاح رانع .

التقط (أدهم) الرزمة المالية ، ودسها في سترته ، وهو يقول في سخرية :

— لم أكن أتصوّر يوماً أن القتل له مثل هذا الثمن المرتفع يا مسيو (فرانسوا) .

قال (فرانسوا) في مكر :

— إنها البداية فقط يا (ميشيل) ، وسرعان ما تغمرك الأموال حينما تنضم إلى [القوة (أ)] .

غمغم (ألان) — الذي تغطي الضمادات وجهه — في حنق :

— لست أثق في هذا الرجل يا مسيو (فرانسوا) .

أطلق (فرانسوا) ضحكة خبيثة ، على حين ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال لـ (ألان) :

— يبدو أنك تحتاج إلى درس آخر يا (ألان) .

تحرك (ألان) نحو (أدهم) في غضب ، ثم لم يلبث أن تذكر لكلمات (أدهم) القوية ، فعاد إلى مكانه وهو يغمغم بكلمات ساخطة غاضبة ، على حين تجاهل (أدهم)

ذلك ، وقال موجّها حديثه إلى (فرانسوا) :

— لقد أثرت فضولي كثيراً بحديثك عمّا يسمى بـ [القوة (أ)] يا مسيو (فرانسوا) ، متى يمكنني الانضمام إليها ؟

ابتسم (فرانسوا) ابتسامته الخبيثة ، وهو يقول :

— هذا يحتاج إلى مقابلة رئيس [القوة (أ)] يا (ميشيل) .

أحسن (أدهم) تمثيل الدهشة ، وهو يهتف :

— رئيس [القوة (أ)] ؟! أأنت الزعيم يا مسيو (فرانسوا) ؟

عاد (فرانسوا) بمقعده إلى الوراء ، وهو يضم كفيه ، قائلاً :

— كلاً يا (ميشيل) ، إنني مجرد مُنفذ ، أو ناقل لأوامره ، إنه رجل رهيب تسانده دولة قوية ، وهو يدفع بسخاء برغم أنه ..

وقطع عبارته بضحكة ساخرة خبيثة ، فقال (أدهم) :

— ومتى يمكننى مقابلة هذا الزعيم ؟

هز (فرانسوا) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

— لا يمكنك هذا مطلقًا يا (ميشيل) ، إلا إذا طلب

هو نفسه ذلك ، وهذا لا يحدث إلا نادرًا ، نادرًا جدًا .

لم يكذب (أدهم) ينصرف من حجرة (فرانسوا) ،

حتى دق جرس الهاتف ، فالتقط (فرانسوا) سماعته ،

وقال :

— هنا ملهى (سوار) .. من المتحدث ؟

وما أن سمع صوت محدثه ، حتى ظهر الاهتمام البالغ على

وجهه ، وأصغى فى اهتمام ، ثم غمغم فى هدوء ، تبين فيه

(آلان) رائحة الدهشة :

— حسنًا يا مسيو (شاران) ، سأرسله إليك هذا

المساء .. نعم .. فى المكان المعتاد .

ووضع سماعة الهاتف ، وظل صامتًا لحظات ، ثم

التفت إلى (آلان) ، قائلاً فى دهشة :

— هذا عجيب ، إن مسيو (شاران) يطلب مقابلة

(ميشيل) شخصيًا .

قال (آلان) فى حق :

— وماذا يساوى هذا اليرميل الأجوف ؟

التقى حاجبا (فرانسوا) وهو يغمغم :

— (ميشيل) ليس برميلاً أجوف يا (آلان) ، ولكن

مايثير دهشتى هو أن مسيو (شاران) لا يقابل أحدًا

شخصيًا ، إلا إذا كان هناك أمر أخطر مما نتصور .

ساد الصمت لحظات ، ثم عاد (فرانسوا) يقول :

— ولكننا لا نملك أمام المبلغ الضخم الذى يدفعه

مسيو (شاران) إلا الطاعة يا (آلان) ، ستصطحب

(ميشيل) إلى هناك هذا المساء .

وأردف بعد لحظة من الصمت :

— ويراودنى شعور قوى أنك ستعود دونه ، أو حاملاً

جثته على أحسن تقدير .

استسلم (أدهم) إلى (الآن) ، الذى وضع حول عينيه
عصابة سوداء سميكه ، وقال فى لهجة خشنة قاسية :
لقد تلقيت أوامرى بإطلاق النار عليك ، إذا
ما حاولت رفع العصابة عن عينيك يا (ميشيل) .
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :
— لا عليك يا صديقى ، إننى حريص مثلك على
الوصول إلى زعيمكم .
قاده (الآن) إلى السيارة الكبيرة ، التى انطلقت فور
ركوبهم إليها ، وقال (الآن) وهو يشعل سيجارته :
— ستقابل رجلاً داهيةً يا (ميشيل) ، وأنصحك أن
تكون واضحاً صريحاً فى حديثك معه ، فهو قاس
كالفولاذ ، ولم يعرف قلبه يوماً معنى الرحمة .
مطأً (أدهم) شفتيه فى لامبالاة ، وغمغم :
— أغلق شفتيك على كلماتك السخيفة يا (الآن) ،
ودغنى أستسلم للنوم قليلاً .
نظر إليه (الآن) فى دهشة ، وغمغم :

— النوم ١٢

ثم عاد ينفث دخان سيجارته فى عصبية ، ويتأمل
(أدهم) متسائلاً عما إذا كان قوى الأعصاب بالفعل ، أم
أنه يتظاهر بذلك ، أما (أدهم) فقد تظاهر بالاستغراق فى
النوم ، على حين أرهف حواسه ، محاولاً استنتاج الطريق
الذى تسلكه السيارة ، كان يحاول معرفة اتجاهات السيارة
من خلال شعوره بالميل إلى الجانب الأيمن والأيسر ، على
حين أخذت أذنه تلتقط كل الأصوات التى تصل إليها ،
وتخزنها فى ذاكرته ، واستطاع أن يميز صوت قطار ينطلق على
مقربة من السيارة ، وفى الاتجاه العكسى لسيرتها ، ثم
انحرفت السيارة يساراً ، وغبرت شريط القطار ، وانطلقت
فى طريق غير ممهد ، على حين صمتت الأصوات تماماً ، إلا
من صوت سيارات تمرق بسرعة على بعد مائتى متر تقريباً ،
ثم بدأت هذه الأصوات أيضاً تخفت ، وتبعد حتى اختفت
تماماً ..
واستتج (أدهم) أنهم فى هذه اللحظة ينطلقون فى

ثم رفع العصاة السميكة عن عيني (أدهم) ، الذي
بهرت الأضواء عينيه للوهلة الأولى ، وهو يسمع صوتاً مألوفاً
يقول في شماتة :

— هل انتحل اسم (ميشيل) هذه المرة ؟
فتح (أدهم) عينيه بغتة ، وانفتر ثغره عن ابتسامة
ساخرة ، حينما وقع بصره على أربعة رجال يصوبون إليه
مدافعهم الرشاشة ، وبينهم يقف رجل يعلم (أدهم)
ملاحظه جيداً ، وخصوصاً ابتسامته الساخرة الشامتة
الحيثية ، لم يكن هذا الرجل سوى (شيمون إيعازر) ،
أشرس ضباط المخابرات الإسرائيلية !!



طريق جانبي خاص خارج (باريس) ، واستمر سيرهم لمدة
تزيد قليلاً على نصف الساعة ، ثم توقفت السيارة ، وانطلق
نفيها ثلاث مرات متعاقبة ، ثم ارتفع صوت بوابة معدنية
تتحرك إلى الجانبين ، وعادت السيارة تأخذ طريقها عبر ممر
ممهّد مسافة لثلاثة متر ، وتوقفت بغتة ، ثم سمع صوتاً خشناً
يقول في فرنسية ركيكة :

— هل أحضرتم الرجل ؟

وسمع صوت (ألان) يقول :

— ها هو ذا .

ثم قاده (ألان) إلى خارج السيارة ، وصعد كلاهما
سُلماً من خمس درجات ، وعبراً باباً كبيراً ، سارا بعده في
ردهة أو ممر صغير ، ثم انحرفا جانباً ، وعبراً باباً خشبياً ،
قبل أن يقول (ألان) ، في لهجة توحى باحترامه وخوفه من
محدثه :

— مرحباً يامسيو (شاران) .. لقد أحضرت

(ميشيل) حسبما طلبت .

تدلّت فك (ألان) السفلى ، وهو ينقل بصره في دهشة بين (موشى) و (أدهم) ، الذى تبدّلت لغته على الفور من الفرنسية السليمة إلى العبرية ، وهو يقول في لهجة واضحة السخرية :

— يا للمفاجأة ! صديقنا الوغد (شيمون إيعازر) ، لم تتحلّ اسم (شاران) إذن ؟
كتم (شيمون) الغضب العارم الذى تموج به نفسه ، وقال في هدوء ظاهريّ :

— إنه اسم حركىّ أيّها المصرىّ .. ولو أننى أعلم اسمك لحاطبتك به

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— دُعنا نقل إننى (لاأحد) أيّها الوغد .

ضرب (شيمون) سطح النضدة الصغيرة التى تواجهه بقبضته ، وصاح في غضب لم ينجح في كتمانها :

— هل تحاول التظاهر بالشجاعة ؟ ألا تعلم أننا قادرون على تمزيقك إربنا في أقل من دقيقة ؟
قال (أدهم) في صرامة :

— هل تظن أراجوزاتك هؤلاء يمكنهم إخافتى بهذه اللّعب التى يحملونها ؟

ابتسم (شيمون) في شراسة وخبث ، وقال :

— هذه اللّعب تطلق نيرانا قاتلة أيّها المصرى ، وهؤلاء الرجال يحترفون القتل ، ولن يتردّدوا لحظة واحدة .

وفجأة .. تحرّك (أدهم صبرى) .. قفز في سرعة وخفّة كالثمر ، وجذب إليه (شيمون) من سترته يميناه ، على حين ارتفعت قدمه اليسرى ، تطيح بالمدفع الرشاش الذى يمسك به أول الرجال ، ثم رفع (شيمون) كالطفل بين ذراعيه ، وألقاه نحو الرجلين الآخرين ، في نفس اللحظة التى انطلقت فيها قدمه اليمنى ، لتركل المدفع الرشاش من يد الرجل الرابع ، ولكن (ألان) تحرّك أيضاً في سرعة عند هذه النقطة ، فأخرج مسدسه وأطلق منه رصاصة نحو (أدهم) .

سيُتيح له موثًا هادئًا ، وأنا أحب أن يتعذب كثيرًا قبل أن يموت (*) .

ثم رفع رأسه إلى (ألان) ، وقال في لهجة صارمة :
— ستحمّله مرة ثانية إلى (فرانسوا) يا (ألان) ، ولكن مكبلاً بالأغلال هذه المرة ، وسنخبر (فرانسوا) الغبيّ كيف أن هذا الشيطان نجح في خداعه ، وستقتلته بالوسيلة التي سأخبرك بها الآن ، ولكن حذار أن تفعلوا قبل أن يستعيد وعيه .

وبدت على شفّيته ابتسامة وحشية ، وهو يردف :
— لا بدّ أن يموت بأقصى قدر من العذاب والوحشية .

* * *

شحب وجه (فرانسوا) ، وهو يحدّق في وجه (ألان) مغمغماً :
— مصريّ؟! .. ولكنه يتحدّث الفرنسية بأفضل مما أفعل أنا .

(*) راجع قصتي (المخطوطة الأولى) و (عخط الذهب) .. المغامرتان ٣٦ و ٣٢ .

شعر (أدهم) بالرصاصه تحكّت بفروة رأسه ، وبالدماء تسيل من جرحه ، ولكنه استدار مواجهها (ألان) ، الذي تراجع في ذعر ، ولكن أحد رجال (شيمون) عاجله بضربة قوية من كعب بندقيته على مؤخرة عنقه .

أظلمت الدنيا أمام عيني (أدهم) وشعر بجسده يهوى على الأرض ، ثم فقد وعيه تمامًا .

نهض (شيمون) من سقطته ، وأخذ ينفض الغبار عن ثيابه ، وهو ينظر إلى (أدهم) في حنق ، ثم قال في غضب :
— يا له من شيطان !! لقد أحسنتم بهزيمته يا رجال .

غمغم أحد الرجال في انفعال :

— إنه شيطان حقيقيّ يا مستر (شاران) ، هل رأيت كيف تحرّك ؟ .. إنه يحرك أطرافه الأربعة في سرعة مذهلة ، هل أطلق النار عليه ؟

قال (شيمون) في عصبية :

— ليس على هذا النحو ، لقد أذّل هذا الشيطان ناصيتي مرتين في قلب (إسرائيل) ، وقتله وهو فاقد الوعي

قال (الآن) في انبهار :

— لقد انقلبت هذه الفرنسية فجأة إلى العربية ، حينما
تحدثت مع مسيو (شاران) .

التقى حاجبا (فرانسوا) ، وهو يغمغم في دهشة :
— العربية ؟!

ثم رفع رأسه إلى (الآن) ، وسأله في اهتمام :

— وهل أجابه (شاران) بالعربية أيضا .

أوما (الآن) برأسه إيجابا ، وقال :

— ولقد ناداه هذا المصرى باسم (شيمون إيعازر) .

ابتسم (فرانسوا) تلك الابتسامة الخبيثة ، وقال :

— إذن فمسيو (شاران) لا ينتمى إلى الولايات المتحدة

كما ادعى ، ولكن إلى (إسرائيل) ، كيف لم أستج ذلك
منذ البداية ؟

وانسعت ابتسامته الخبيثة ، وهو يستطرد :

— حسنا يا (الآن) ، سننقل هذا المصرى إلى مخفى

الخاص ، حيث نقتله بالوسيلة التى طلبها مسيو (شاران) ،

وبعد ذلك نرى كم سيدفع لنا مسيو (شاران) ، حتى لا تبلغ
السلطات المصرية بأنه يُدعى (موشى إيعازر) .

* * *

استعاد (أدهم) وعيه دفعة واحدة ، ولكنه ظل

مغمض العينين في محاولة لتبين موقفه ، علم من الوهلة الأولى

أنه داخل زورق أو يخت ؛ لأن جسده كان يتمايل في رفق ،

كما يحدث بفعل الأمواج الهادئة ، وفي نفس الوقت كانت يده

مكبوتين فوق رأسه بأغلال حديدية ، من ذلك النوع الذى

يستخدمه رجال الشرطة ..

وفتح (أدهم) عينيه في ببطء وكأنه يستعيد وعيه لتوه ،

فظالعه وجهها (فرانسوا) و (الآن) ، فابتم

(أدهم) ابتسامة ساحرة خبيثة ، وقال :

— يا إلهى !! كنت أظن الجنة هى مثواى ، ولكن

هذه الوجوه أقرب إلى شياطين الجحيم .

تأمله (الآن) في شماتة ، على حين قال (فرانسوا)

في هدوء :

— لا تتعجل أيها المصري ، لن تلتب أن تنقل إلى
الجحيم بعد لحظات .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— هكذا ! وأين كبير الشياطين (شيمون) ؟

تجاهل (فرانسوا) سؤال (أدهم) ، وقال وهو يشير إلى
خرطوم كاوتشوكى يتدلى داخل الكابينة ، التى قيد إليها
(أدهم) :

— هل تعلم ما الذى سيحمله هذا الخرطوم إلى هنا أيها
الشيطان ؟ ... ليس ماء كما قد تتصور بل نزينسا سريع
الاشتعال .

قال (أدهم) متهكماً :

— هل ستصنع جحيمًا صناعيًا أيها الوغد ؟

وللمرة الثانية ، تجاهل (فرانسوا) سخرية (أدهم) .

واستمر يقول :

— بعد انصرافنا أنا و (ألان) ، ستدفق كمية كبيرة
من البنزين داخل الكابينة ، وبعد ساعة واحدة ستشتعل

شرارة كهربية أحكم (ألان) إعدادها ، وستكون النتيجة
الخطية هى اشتعال النيران حولك أيها الشيطان ،
وميشوى جسدك حيًا قبل أن ينفجر اليخت .

ساد الصمت لحظات ، ثم سأل (أدهم) :

— كيف عرفنى (شيمون) يا (فرانسوا) ؟

هزّ (فرانسوا) كتفيه وقال :

— لقد أرسل رجاله خلفك يراقبوك فى أثناء عملية
اغتيال الدبلوماسى المصرى . ولقد التقطوا لك فيلمًا
كاملاً . وما أن وقع بصره عليك فى الفيلم حتى عرفك على
القور .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

— سأهنته على ذكائه فى الجحيم .

ابتسم (فرانسوا) فى خبث ، وقال :

— إنك جرىء بالفعل أيها الشيطان .

ثم تحرك نحو باب الكابينة ، قائلاً :

— الوداع أيها المصرى .

ابتعد (ألان) في خطوات ساخرة ، وأدار محمسا
صغيرا إلى جوار باب الكابينة وهو يقول :
— إلى الحميم أينما الشيطان
اتسم (أدهم) في سخرية . وقال :
— سنلتقى قريبا أينما الوعد .

وماهى الإلحظات . حتى سمع (أدهم) صوت
الزورق البخارى الذى يحمل (فرانسوا) و (ألان) وهو
يبتعد . ونظر إلى التنزين الذى تدفق في قوة من الخرطوم .
غامرا قاع الكابينة . ثم غمغم ساخرا :
— يا للأوغاد !! لقد أعدوا لي مينة بشعة بالفعل .

نظر (ألان) في ساعته ، ثم انحرف ببصره إلى اليخت
الصغير ، الذى يقع وسط المياه بعيدا عن الشاطئ . وقال
في شماعة محدثا (فرانسوا) :
— لم يعد أمامه سوى دقيقة واحدة . ستشتعل النيران
في اليخت بأكمله .



يا للأوغاد !! لقد أعدوا لي مينة بشعة بالفعل ..

٦ — الشيطان يعيش مرتين ..

توقفت (منى توفيق) عن قراءة الملف عند هذه النقطة ، واستدارت إلى (أدهم) تسأله في هففة :

— ياله من أمر بشع !! كيف نجوت حينذاك يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) دون أن يجيبها ، على حين هتف (قدرى) في ضيق :

— دعينا نواصل القراءة يا (منى) ، وسيتضح لنا كل شيء .

قالت (منى) في عناد :

— أريد أن أعلم الآن يا (قدرى) .

هز (أدهم) كتفيه ، وقال في بساطة :

— لقد كنت مقيدًا بأغلال حديدية مثبتة إلى الحائط

بمسامير قوية .. ولقد أخطأ (فرانسوا) ، حينما أخبرني أن

ظل (فرانسوا) صامتًا ، حتى رأى السنة اللهب تندلع فجأة في اليخت . فابتسم في شراسة وحبث . قائلاً :

— إلى الجحيم أيها المصري . سيعوضنا مسيو (شيمون) كثيرًا عن اليخت .

لم يكذب (فرانسوا) ينتهي من عبارته . حتى انفجر اليخت بدوى شديد . وتناثرت أجزاؤه وسط المياه . فأطلق ضحكة ساخرة . وقال :

— هذا عظيم . لم يبق من جسد الشيطان المصري ما يبلى كأسًا صغيرة . لقد هزماه تمامًا .



شينا لن يحدث قبل ساعة كاملة ؛ لأنه بهذا التصريح جعلنى
أتحرك فى هدوء ، غير مبال بتدفق البنزين داخل الكابينة ،
وكان أول ما فعلته هو أن جمعت كل ما أمك من قوة ،
وجذبت المسامير التى تثبت أغلالى الحديدية ، حتى
نزعتها .

ابتسم (قدرى) ، وهو يغسمم :

— هكذا ؟! ببساطة !!

تابع (أدهم) فى هدوء :

— وبعد ذلك أصبحت حرًا ، أو بمعنى أدق غير
مثبت إلى الحائط ، وإن ظلت الأغلال الحديدية فى يدي ؛
لذا بحثت طويلًا ، حتى وجدت قطعة معدنية رفيعة ،
أمكننى بواسطتها التحرر من الأغلال الحديدية ، ثم قفزت
فى البحر و ...

قاطعته (منى) صالحة فى إعجاب :

— إن من يسمعك تروى القصة ، يتصور الأمر غاية فى
البساطة ، ولكنى أراه معقدًا للغاية ، ويحتاج إلى مهارة
وهدوء أعصاب خارقين .

مطّ (أدهم) شفتيه ، قائلاً :

— ليس الأمر بالصعوبة التى تصوّرناها يا عزيزتى ، لقد
احتجت إلى نصف ساعة كاملة للتحرر من قيودى ، على
حين كان (هودينى) يفعل ذلك فى لحظات (*) .

ضحكت (منى) فى مرح ، وقالت :

— يالك من متواضع !!

التقى حاجبا (قدرى) فى غضب مفتعل ، وقال :

— يا للنساء !! ألن تواصلى القراءة ؟

اتسعت ابتسامته (أدهم) ، وهو يتأمل (قدرى)
بجسده البدين ، على حين ضحكت (منى) فى مرح ، ثم
عادت تفتح الملف ، وتواصل القراءة .

(*) (هارى هودينى) : أشهر ساحر عرفته المسارح فى القرن العشرين ،
وقد اشتهر بقدراته الخرافية على الإفلات من القيود ، مهما بلغت قوتها ، حتى أنه
نجح يومًا فى حل قيوده داخل صندوق معدنى بالأقفال الحديدية ، على عمق
خمسة عشر مترًا تحت طبقة من الجليد ، ولقد تحول فى عام ١٩٢٨ إلى دراسة
عالم الروح .

انطلقت ضحكة ساخرة شامتة مجلجلة من فم
(ألان) ، وهو يدير محركات السيارة ، على حين قال
(فرانسوا) ، وهو يشعل سيارته :

— الآن يمكننا مطالبة مسيو (شيمون) بعشرة ملايين
فرنك على الأقل .

سقطت السيارة من بين شفتي (فرانسوا) ، وارتجفت
جسد (ألان) في قوة ورعب ، وامتلاً قلب الرجلين
بالذعر ، حينما ارتفع صوت (أدهم) الساخر يقول :

— لم يكن الوقت بعد أيها الوغدان .

تحركت يد (ألان) المرتجفة نحو مسدسه ، الذى
يخفى في جيب سترته ، وتسمرت أطراف (فرانسوا) ،
واتسعت عيناه رعباً وذهولاً ، ولكن (أدهم) برز فجأة
من الجانب الأيسر للسيارة ، وملاسه تقطر بمياه البحر ،
وتحركت قبضته في سرعة خرافية لتحطم أنف (ألان) في
صوت مسموع ، ثم عادت يد (أدهم) في خفة ومهارة
لتلقط المسدس ، الذى سقط من يد (ألان) ، وحينما

عادت إلى أطراف (فرانسوا) حركتها . كان (أدهم)
يصوب إليه فوهة المسدس ، ويقول في سخرية حطمت
البقية الباقية من أعصاب (فرانسوا) :

— معذرة أيها الوغد ، لم أجد الوقت مناسباً للذهاب
إلى الجحيم .

صرخ (فرانسوا) بأعصاب منهارة :

— هذا مستحيل ، لا يمكنك أن تظل حيًا !!

ابتسم (أدهم) في تهكم ، وهو يقول :

— هل أبدو لك رجلاً ميتاً أيها الوغد ؟.. هل رأيت

أشباحاً تطلق النار من قبل ؟

ارتجفت صوت (فرانسوا) ، وهو يقول :

— هذا مستحيل .. أنت شيطان .

قال (أدهم) في برود :

— لقد سئمت هذا الذهول الذى يرتسم على وجوهكم

دائماً ، أخبرنى أيها الوغد . هل يمتاز الأشرار دائماً
بالبلاهة ؟

ساد الصمت قليلا ، و (أدهم) يركز عينيه الصارمتين
في عيني (فرانسوا) الخائفتين ، ثم سأله (أدهم) في
صرامة :

— هل تحمل خريطة لـ (باريس) ؟

أشار (فرانسوا) إلى ذُرج السيارة ، صانحا :

— نعم ، إنها هنا .

ثم أسرع بفتح الذُرج ، وناول الخريطة إلى (أدهم)
الذي ابتسم في غموض ، وقال :

— إنها تكفي أيها الوغد .

وفي تلك اللحظة تأوّه (ألان) ، وبدا واضحا أنه
يستعيد وعيه ، فقال (أدهم) في لهجة أمرة :

— ستعمل الآن على قيد هذا الوغد ، وتكيميحه
جيدا ، ثم ستسلم إلي وأنا أفعل بك ما فعلته به .

ثم ارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

— هذا أفضل من القتل .. أليس كذلك ؟

حاول (فرانسوا) استعادة سيطرته على أعصابه ، وهو
يقول لـ (أدهم) :

— كيف نخوت ؟

ابتسم (أدهم) في تهكم قائلا :

— دعنا من هذه الترهات الآن ، سأطلب منك أن

تجيبني عن سؤال معين .

عاد جسد (فرانسوا) يرتجف ، حينما تحول صوت
(أدهم) إلى دفق صارم ، يشير البرودة في الأطراف ، وهو
يقول :

— أريد اسم المكان الذي يخفى فيه (شيسون) ،

والقائمة التي تحوى اسم كل رجال القوة (١) .

اتسعت عينا (فرانسوا) رعبا ، وأشاح يده في قوة

صانحا :

— هذا مستحيل ، إنك تحكم عليّ بالقتل ، ثم إنني

لا أحمل مثل هذه القائمة .. إن عملي يقتصر على إبلاغ

الأوامر لمن يصل إلى ملهاى من رجال القوة (١) .

انتهى (أدهم) من قيد وتكميم (فرانسوا) ، ثم تأكد
من إحكام قيود (ألان) ، وابتسم في سخرية ، وهو يواجه
الرجلين اللذين حدقا في وجهه رعبا ، ثم قال :

— برغم محاولتكما النظار بالجهل ، إلا أنتى متأكد
تماما من معرفتكما لأسماء العاملين في القوة (١) ،
ولكنكما لن تبوحا بها خشية الموت .

ثم نشر خريطة (باريس) على مقدمة السيارة ، مستطرذا :
— والأسلوب الأمثل لإجبار مثليكما على البوح بما لديهما ،
هو أن يكون كشف السر هو الوسيلة الوحيدة أمامهما
للنجاة ، أو بمعنى أدق ، ألا يكون أمامكما سوى ذلك .
وانحنى يفحص الخريطة ، ويقول :

— والوصول بكما إلى مثل هذا الموقف يحتاج إلى خطة
معقدة ، تبدأ بالتوصل إلى المقر السرى لهذا الوغد
(شيمون) رأس القوة (١) .

تجاهل (أدهم) غمغمة غير مفهومة ، خرجت من فم
(فرانسوا) المكتم ، وواصل حديثه وهو يراقب
الخريطة ، قائلا :



انحنى يفحص الخريطة ، ويقول :

— والوصول بكما إلى مثل هذا الموقف يحتاج إلى خطة معقدة ..

— حينما اصطحبني (ألان) إلى المقر السريّ ، بدأنا رحلتنا من أمام الملهى ، ثم انطلقنا في طريق مستقيم يمرُّ بـ (برج (إيقل) ، حيث وصلت إلى مسامعي أصوات الحركة الدائبة حوله ، وبعدها انحرفنا يساراً ، ثم يمينا .

كان (أدهم) يتحدث وهو يتابع خط السير على الخريطة بسبّابه ، على حين اتسعت عيننا (ألان) ، و (فرانسوا) دهشة ، أما هو فاستمر قائلاً :

— ثم في طريق مستقيم حتى وصلنا إلى شريط قطار ، هاهو ذا يبدو واضحاً على الخريطة ، ولقد انحرفنا يساراً لنعبره ، حيث أصبحنا خارج (باريس) لفترة ما ، وانحرفنا في طريق جانبي غير ممهد .

وصلت دهشة الرجلين إلى ذروتها ، إذ كان (أدهم) يصف الطريق ، ويتابعه بسبّابه فوق الخريطة ، كما لو كان يعرفه جيّداً ، برغم تأكيد (ألان) من إحكام العصابة السوداء فوق عينيه وقتها .. وتوقّف (أدهم) عند هذه النقطة ، ثم قال :

— في هذا المكان توجد ثلاثة طرق فرعية غير ممهّدة ، وينتهي كل منها بضبعة خاصة ، والدليل الوحيد الذي يقودنا إلى الضبعة المطلوبة ، هو أننا حينما عبرنا الطريق غير الممهّد ، انحرفنا مرّتين إلى اليسار ، وأخيراً إلى اليمين قبل أن نتوقّف أمام المكان ، وهذا لا ينطبق إلا على ضبعة واحدة . ورفع رأسه إلى الرجلين ، وهو يتسّم ابتسامة ساخرة ، قائلاً :

— وهذا يعني أن المكان الذي بحثي فيه (شيمون) ، هو ذلك القصر المعروف باسم (لاروز) ، إنه المقر الرئيسي لقيادة القوة (١) . | .. أليس كذلك ؟

ظهر التوتّر على وجهي الرجلين ، وأخذ كل منهما للصمت ، فأطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— من حسن الحظ أنك تمتلك سيارة مزوّدة بهاتف خاصّ يا (فرانسوا) ، فخطّتي تعتمد بالضرورة على إجراء مكالمة هاتفيّة خاصة مع (شيمون) .

— لقد احترق حتى النخاع يامسيو (شاران) ،
ولكن هذه العملية تحتاج إلى مكافأة خاصة .

قال (شيمون) في صرامة :

— أنت تحصل على الكثير يا (فرانسوا) ، وهذا
يكفى .

أجابه (أدهم) في هدوء :

— خطأ يامسيو (شاران) ، إننى لم أحصل بعد على
ما يكفى لأن أنسى أنك تدعى (شيمون إيعازر) ، وأنتك
تنتمى إلى المخابرات الإسرائيلية ، ويمكننى أن أحصل على
أضعاف ما تمنحنى إياه ، لو أننى أخبرت المخابرات المصرية
بمالدئى من معلومات .

صاح (شيمون) في غضب :

— إنه هذا الوغد (ألان) ، لقد أخبرك بما سمعته
ولا شك ، ولكن اسمع جيداً يا (فرانسوا) ، لو أنك
فهمت بكلمة واحدة عن هذا ، فسيكون الموت مصيرك .
قال (أدهم) في سخرية ، مقلداً لهجة وصوت
(فرانسوا) :

وفى هدوء ، أدار (أدهم) رقماً قصيراً ، وقال حينما
سمع صوت محدثه ، وبفرنسية خالصة :

— أريد معرفة الرقم الهاتفى لقصر (لاروز) .

واستمع لحظات إلى محدثه ، ثم أغلق الخط ، وبدأ
يدير رقم قصر (لاروز) في هدوء ، ولم يكذب يسمع صوت
محدثه ، حتى قامت حنجرتة المونة بواجبها خير قيام ؛ إذ
تحول صوتة ولهجته ونبراته ، إلى نسخة لا تقبل الشك من
(فرانسوا) ، الذى أئسعت عيناه رعباً وذهولاً . حينما قال
(أدهم) مقلداً إياه في براعة خرافية :

— مرحباً يامسيو (شاران) ، أنا (فرانسوا) ، لقد
انتهت المهمة ، وقضينا على ذلك الجاسوس المصرى .

صاح (شيمون) على الجانب الآخر ، بفرح لم يستطع
كتباته :

— رائع ، هل احترق تماماً ؟ .. هل تأكدت من موته ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— فلنعمل ماتشاء أيها الحقيير ، ولكننى سأبلغ
الغابرات المصرية ، ما لم أحصل على مليار فرنك .

ثم أغلق سماعة الهاتف فى قوة ، والتفت إلى الرجلين
اللذين بلغ منهما الرعب مبلغه ، وقال فى سخرية :

— الآن ستسمى [القوة (أ)] بأكملها للقضاء عليكما
أيها الوغدان ، وليس هناك من سبيل لتفادى حدوث ذلك
إلا الإيقاع بالشبكة بأكملها .

ارتسم الرعب بأجلى صورته على وجهى الرجلين ، على
حين أخذ (ألان) يطلق صرخات مكتومة متشنجة ، مما
دفع (أدهم) إلى رفع الكمامة من فمه قائلاً :

— حسنًا أيها الوغد ، هل لديك ما تخبرنى به ؟

صاح (ألان) فى رعب :

— نعم أيها المصرى ، نعم ، سأخبرك أين تجد قائمة
كاملة تحوى أسماء كل رجال [القوة (أ)] .

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره فى هدوء ، وابتسم فى
سخرية وهو يقول :

— حسنًا ، كلنى آذان مُصغية .

قال (ألان) فى صوت مرتجف :

— فى الدُرج الأيمن العلوى من مكتب مسيو
(شاران) ، أقسم لك أنها القائمة الوحيدة الموجودة .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم غسغم فى تهكُّم :

— حسنًا يا (شيمون) ، مجريات الأحداث تجبرنا على
المواجهة مرّة أخرى .



٧ - الطريق إلى الموت ..

انطلق (أدهم) بسيارة (فرانسوا) في الطريق إلى قصر (لاروز) ، كان يعلم جيدًا أن مبادرته هذه قد تقوده إلى موت حتمي ، ولكن رجلاً مثل (أدهم صبرى) لم يكن ليأبه بالموت في سبيل وطنه ، ولم تكن المخاطر تمنعه يوماً عن القيام بعمل يؤمن بصوابه ، وبأهميته لمصر التي أنجيت ، حتى أنه وهو يقود السيارة في الطريق إلى الموت ، لم يفكر لحظة فيما يمكن أن يصيبه ، كل ما كان يخشاه هو أن يلقى مصرعه ، فتستمر [القوة (أ)] في عملها الدموي ، كان يعلم أنه بسبيله لمواجهة عدد لا يعلمه من الرجال الذين اعتادوا القتل ، وسفك الدماء ، وأنه لا يملك في مواجهتهم ، إلا ذلك المسدس الذي اغتصبه من (ألان) ، والذي يحوى تسع رصاصات فقط ، كان عليه أن يواجه الرجال والعتاد ، بمسدسه وذراعيه وعقله .

أوقف (أدهم) السيارة عند بداية الطريق غير الممهّد ، وترجل منها حاملاً مسدسه ، ثم تحرك في خفة ، مجتازاً الطريق على قدميه في حذر وسرعة ، حتى ذلك المنحنى الذي يقود إلى البوابة المعدنية التي يقف على حراستها ثلاثة رجال ، تقبض أيديهم على مدافعهم الرشاشة ، وتتحرك عيونهم في كل مكان .

اختفى (أدهم) خلف بضعة أغصان متشابكة ، وأخذ يدرس الموقف على بعد عشرة أمتار من الحراس الثلاثة ، ثم غمغم في سخرية :
— إن هذا الوغد يحيط نفسه بحراسة مُحكّمة .

كانت الأمتار العشرة التي تفصله عن الحراس الثلاثة ، عارية تماماً من أى شيء يمكن أن يخشى خلفه ، وهذا يعنى أن يعدّو في العراء نحوهم ، أو يطلق عليهم رصاصات مسدسه ، ولكن هذا التصرف الأخير ، كان يعنى أن يعلم جميع من بالقصر أن هناك هجوماً ما ، ويفقد (أدهم) تماماً عنصر المفاجأة ، وثلاث رصاصات من مسدسه .. وتمتم (أدهم) :

— ألم يكن بإمكانك حمل مسدس مزود بكاتم
للصوت يا (ألان) ؟

ثم توقف فجأة ، ونظر إلى المسدس ، واتسعت
ابتسامته الساخرة ، وهو يقول في مرح :

— ومن العجيب أن مسدسك سيكون له الفضل ،
لو أنني نجحت أيها الوغد .

* * *

كان الحراس الثلاثة يدورون بأعينهم في كل مكان ، في
حركة دائنة لا تنقطع ، تتم عن خبرتهم الواسعة في حراسة
الأماكن الحربية ، والسرية ، ولم يكن أحدهم يتبادل كلمة
واحدة مع الآخرين ، ولكن أنظارهم التفت فجأة ، حينما
وصل إلى مسامعهم صوت جسم ما يشق الهواء نحوهم ..
وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة واحدة سقط هذا الشيء ، على
بعد مترين منهم ، توجهت أبصار الرجال الثلاثة إلى ذلك
الشيء ، وهتف أحدهم في دهشة :

— عجبًا ، إنه مسدس .

هتف الآخرون في آن واحد :

— مسدس !!! من أين أتى ؟

كانت أبصار ثلاثتهم موجهة إلى المسدس الراقد على
الأرض أمامهم ، حينما اندفع (أدهم) كالصاروخ من بين
الأغصان ، وعندما رفعوا رؤوسهم وفوهات مدافعهم
الرشاشة نحوه ، كان قد أصبح على بعد ثلاثة أمتار منهم
فقط ، وعند هذه النقطة وثب (أدهم) نحوهم كالفهد ،
وحطمت قبضته اليمنى الحديدية أنف أولهم ، على حين
أطاحت قدماه بمدفعي الرجلين الآخرين ، ثم هوت يسراه
كالصاعقة مهشمة فكّ الثاني ، وأسرع الثالث محاولاً طلب
النجدة عن طريق جهاز اللاسلكي المثبت بالخائط إلى حوار
البوابة ، ولكن ذراع (أدهم) أوقفته ، وانتزعته من مكانه
انتزاعًا ، ثم عاجله بلكمة كالقنبلة على مؤخرة عنقه ، سقط
الرجل بعدها صامتًا فاقد الوعي .

تم الأمر في سرعة مذهلة ، حتى أنه استغرق ما يقل عن
نصف الدقيقة ، والنقط (أدهم) أحد المدافع الرشاشة ،

جلس (شيمون إيعازر) في مقعده ساخطاً غاضباً ،
وأخذ يراجع قائمة تضم العديد من الأسماء ، وهو يقول
لشاب وقف أمامه صامتاً :

— هذا الوغد (فرانسوا) يهدد بإفشاء سرنا ، سألقنه
درساً لن ينساه في الآخرة يا (حونين) .

قال (حونين) في هدوء :

— لقد أطلقنا ثلاثة من أبرع رجالنا في أثره ياسيدى ،
ولن تشرق الشمس ، حتى يكون في عداد الأموات هو
و (ألان) .

قال (شيمون) في حنق ، وهو يعيد القائمة إلى ذُرج
مكتبه الأيمن العلوى :

— لقد أخطأنا منذ البداية حينما اعتمدنا على فرنسى .

هز (حونين) كتفيه ، وقال :

— هذا ما أشارت به أجهزة الأمن ياسيدى ، فهذا يمنع
توصل الخبايا المصرية ، أو السورية إلينا ، أو على الأقل
يجعله أمراً بالغ الصعوبة .

وهو يتأمل الصرعى الثلاثة ، ثم التقط مسدس (ألان) ،
ودسه في حزامه ، ووقف يتأمل البوابة المعدنية المغلقة
مغمغماً :

— ها قد انتهينا من الخطوة الأولى ، وحصلنا على سلاح
إضافى .

كانت البوابة المعدنية من ذلك النوع الذى يفتح
أوتوماتيكياً ، عن طريق جهاز خاص داخل القصر ، حيث
يقوم الحراس بإبلاغ (شيمون) عن الزائر ، ويتولى هو فتح
البوابة المعدنية ، وكان هذا يعنى استحالة دخول (أدهم)
إلى القصر عن طريقها ؛ لذا فقد راح يقيس ببصره ارتفاع
الأسوار ، ثم غمغم في سخرية :

— إن الوصول إليك يحتاج إلى مجهود عنيف أيها الوغد .

ثم أردف وهو يشمر عن ساعديه ، استعداداً لتسلق
السور :

— ولكن الأمر يستحق ذلك .

* * *

قال (شيمون) في حلق :

— هراء .. لقد نجحنا دائماً دون الاستعانة
بالآخرين .

تصحح (حونين) قائلاً :

— ليس دائماً ياسيدى .

صاح (شيمون) في غضب :

— باستثناء بعض المساعدات الطفيفة بالطبع .

ابتسم (حونين) ابتسامة خبيثة دون أن يجر جواباً ،

على حين عاد (شيمون) يقول في حلق :

— إننى أخشى أن يتسرع هذا الأحمق (فرانسوا)

بإبلاغ المصريين ، لا بد لنا من تشديد الحراسة على القصر .

مط (حونين) شفثيه ، وقال :

— إننا ثمانية رجال في هذا القصر ، وهذا يشمل كلينا

أيضاً ياسيدى .. ولقد تركت ثلاثة رجال عند البوابة

الرئيسية ، و

قاطعه (شيمون) قائلاً :

— هذا لا يكفي ، إن القوة تتركز عادة عند خط

الدفاع الأول .. زد عددهم إلى أربعة .

ثم سأله وهو يضغط زر جهاز اللاسلكى :

— من هم الرجال الثلاثة ؟

أجاب (حونين) :

— (جاكوب) و (كيبان) و (آلون) .

قال (شيمون) من خلال جهاز اللاسلكى :

— هنا (شيمون) .. أجب يا (آلون) .. كيف

الحال عند البوابة ؟

انتظر (شيمون) طويلاً دون أن يتلقى جواباً ، فعاد

يكرر عبارته في قلق ، ثم أعادها مرة ثالثة ، ورفع رأسه إلى

(حونين) في توتر صائحاً :

— هناك خلل ما يا (حونين) .. أسرع إلى هناك .

أسرع (حونين) ينفذ الأمر ، وقد انتقل إليه قلق رئيسه

وتوتره ، على حين التقط (شيمون) مسدساً قوياً من

مكتبه ، وتأكد من حشوه ، ثم دسّه في سترته ، وهو يقول

في حلق :



استدار (شيمون) في رعب ، وسقط به مقعده
في حركة حاذة ، حينما وقع بصره على (أدهم) ..

— أغبياء .. إنسى أعمل مع طغمة من الأغبياء
الحمقى .

وانتفض جسده بغتة ، حينما أتاه من خلفه صوتٍ ساخرٌ
مألوف ، يقول في هدوءٍ وبعبارةٍ سليمة :

— الطيور على أشكالها تقع يا ملك الأغبياء
والحمقى .

استدار (شيمون) في رعب ، وسقط به مقعده في
حركة حاذة ، حينما وقع بصره على (أدهم) ، الذي استند
في تراخٍ إلى حاجز النافذة ، وصوب نحوه قوهة مدفعه
الرشاش .



٨ - أمطار من نار ..

كان وقع المفاجأة شديداً على (شيمون) ، الذى شعر برغبة جارفة فى البكاء من شدة القهر والغضب ، وأخذ جسده يرتجف كما لو وقف مبتلاً وسط الثلوج ، ونهض من سقطته فى صعوبة دون أن يرفع عينيه عن (أدهم) ، الذى واصل حديثه فى سخرية :

— ماذا أصابك يا مملك الأوغاد ؟ تبدو وكأنك رأيت

الشیطان نفسه .

غمغم (شيمون) فى مذلة :

— هذا لا يخالف الحقيقة كثيراً .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— لن أضيع الكثير من وقتك يا صديقى الوغد ،

سأحصل على قائمة أفراد [القوة (أ)] ، وأنصرف على

الفور .

تغلب حقد (شيمون) وحنقه على خوفه ، فصاح فى شراسة :

— محال .. إنك لن تخرج من هنا حياً .

قال (أدهم) فى لهجة تحمل استهتاراً خفياً :

— دغ لى هذه المشكلة يا صديقى ، وأعطنى ما طلبت .

صاح (شيمون) فى عناد :

— لن تغادر المكان حياً .

تحولت لهجة (أدهم) الساخرة إلى الصرامة ، وهو

يقول فى صوت حازم قوى :

— حسناً أيها الوغد ، سأساومك ، ستعطينى

القائمة ، أو تتلقى حفنة من الرصاصات القاتلة .. أيهما

تفضل ؟

تردد (شيمون) لحظة ، ثم اندفع يقول فى حنق :

— ألا يوجد غيرك فى المخابرات المصرية ؟ لماذا تقف

دائماً فى طريقى ؟

عادت الابتسامة الساخرة إلى وجه (أدهم) ، وهو يقول :

— إنه القدر يا عزيزي .

ثم عاد إلى لهجته الصارمة مستطردًا :

— والآن .. أيهما تفضل ياسيد (شيمون) ؟

تردد (شيمون) مرة أخرى ، ثم قال :

— إنها ليست هنا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— هكذا؟! يالها من محاولة سخيفة!!

ثم اكتسى وجهه بتعبير مسرحي ساخر ، وهو

يستطرد :

— ألا تعلم أنني أستطيع قراءة أفكارك أيها الوغد ؟

ومسَّ جبهته بأطراف أصابعه في شكل مسرحي ،

وأردف :

— أفكارك تقول أن القائمة في مكتبك ، فلنحاول

العوض أكثر في عقلك ، حسنًا .. إنها في الدرج الأيمن

العلوي على وجه التحديد .

اشتعل الغضب في عيني (شيمون) ، وهو يضغط
أسنانه قائلاً :

— لقد تكلم (ألان) .. اليس كذلك ؟

تجاهل (أدهم) السؤال ، وعاد إلى لهجته الصارمة
قائلاً :

— هل ستعطيني القائمة ؟ أو أحصل عليها بعد وفاتك
بالفعل أيها الوغد ؟

وقبل أن ينطق (شيمون) بكلمة واحدة ، اندفع
(حونين) إلى الحجره صائحًا :

— لقد هوجم رجالنا ياسيد

وتر عبارته وهو يحدق في وجه (أدهم) بذهول ، على
حين قال هذا الأخير في هدوء :

— ألقى سلاحك أيها الوغد .

كانت المفاجأة مذهلة ، حتى أن (حونين) أفلت
من يده مدفعه الرشاش على الفور ، ورفع ذراعيه فوق رأسه
مستسلمًا ، وقال (أدهم) في صرامة قاسية :

— القائمة ياسيد (شيمون) ، والأفلن يقى أحدكم
حيًا ليقص ذلك على قيادتكما .

* * *

أشعل أحد الحراس الإسرائيليين الثلاثة الباقين في
الحديقة المحيطة بالقصر سيجارته ، وقال محدثًا زميله :

— لماذا كان (حونين) يبدو مرتبكًا ، وهو يسرع إلى
غرفة الزعيم ؟

هز زميله كتفيه ، وقال :

— وكيف لي أن أعلم ؟

قال الحارس الثالث في قلق :

— أخشى أن يكون أمرنا قد كشف أو

قاطعته الأول قائلاً :

— مارأيكما لو أننا ذرنا حول القصر ؛ لنستمع إلى

حديث (حونين) مع السيد (شيمون) من خلال

النافذة ؟

قال الحارس الثاني في صرامة :

— هذا مخالف للتعليمات يا (رءول) .

هز (رءول) كتفيه في استهتار ، ونفت دخان
سيجارته ، وقال :

— فلتبق أنت هنا يا (حام) ، وسأذهب أنا
(شتاين) لنعلم ماذا يحدث هنا .

ظهر الغضب على وجه (حام) لحظة ، ثم هز كتفيه
بدوره ، وترك زميله يسيران نحو نافذة مكتب (شيمون)
في الجانب الآخر للقصر ، وكان (رءول) يقول :

— لقد سئمت هذا العمل يا (شتاين) ، الجميع

يحصلون على أموال طائلة مقابل اغتيال بعض الأفراد ، على
حين تبيس أطرافنا في حراسة المكان .

قال (شتاين) في غضب :

— أنت مُحَقِّقٌ يا (رءول) ، إننا نحصل على الفتات .

وفجأة .. أمسك (رءول) ذراع زميله ، صائحًا :

— يا للشيطان !! انظر هناك يا (شتاين) ، عند

النافذة .

ومع آخر حروف كلماته ، انهالت النيران كالمطر على
النافذة التي يقف أمامها (أدهم صبرى) .

* * *



رفع (شتاين) بصره إلى حيث أشار (راءول) ،
وتصلبت قبضته على مدفعه الرشاش ، وهو يغمغم :

— ماذا يحدث هناك ؟

قال (راءول) ، وهو يتحرك نحو النافذة في خفة :

— هناك شخص ما يصب الرشاش إلى السيد
(شيمون) و (حونين) ، لقد تسلل أحدهم دون أن
نشعر .

سأله (شتاين) في توتر :

— ماذا نفعل ؟

ابتسم (راءول) في خبث وشراسة ، وقال :

— سنطلق عليه النار بالطبع ، هذه هي الوسيلة
الوحيدة لاستعادة مكانتنا أمام السيد (شيمون) ، سنهال
على هذا المتسلل بوابل من النيران .

ثم جذب زناد مدفعه الرشاش ، مستطرذا :

— إننا لن نحطه من هذه المسافة القريبة .

من الخواص النادرة التي يمتاز بها (أدهم صبرى) عن أقرانه في عالم المخبرات ، والتي أهلته لحمل لقب (رجل المستحيل) استجابته الحارقة للمؤثرات الخارجية ، وقدرته التي تفوق أجهزة الكمبيوتر ، في إتيان رد الفعل المناسب في الوقت المناسب ، وهذا الوقت المناسب يكون في بعض الأحيان جزءاً من الثانية ، وهذا ما حدث بالضبط في ذلك اليوم .

لقد كان (أدهم) يصوب مدفعه الرشاش إلى (حونين) و (شيمون) ، في محاولة لإجبار هذا الأخير على تسليمه القائمة التي تضم أسماء رجال [القوة (أ)] ، حينما تناهى إلى مسامعه صوت خافت ، انتقل من أذنه إلى عقله في جزء لا يكاد يذكر من الثانية ، وقارنه العقل بالأصوات المخفوفة في الذاكرة ، فتيين فيه صوت مدفع رشاش يعد للإطلاق ..

وعلى الفور أرسل المخ تحذيراً إلى كل أطراف (أدهم صبرى) ، واستغرقت هذه الرحلة ما يقل عن نصف الثانية في جهاز (أدهم) العصى ؛ لذا فقد تحرك مبتعداً عن النافذة في سرعة خرافية ، في نفس اللحظة التي انهمر فيها وابل النيران ، حتى أن (شتاين) هتف في ذهول :

— لقد اختفى !!.. هل كنا واهمين ؟

وتحرك (حونين) و (شيمون) أيضاً في سرعة ، فالتقط الأول مدفعه الرشاش ، وصوبه إلى (أدهم) ، على حين اندفع الثاني نحوه محاولاً تكييله بذراعيه ، ولكن مبادرة (أدهم) كانت تفوقهما سرعة ، فرفع مدفعه الرشاش ، وأطلق منه دفعة من النيران أطاحت بمدفع (حونين) ، ثم انحنى إلى أسفل متفادياً ذراعى (شيمون) ، وانطلقت قبضته كالقنبلة تطوح به بعيداً ، في نفس اللحظة التي اندفع فيها (حونين) نحوه ، فمال (أدهم) يساراً ، ثم أطلق الغنات لقبضته في معدة (حونين) الذي انثنى ألماً ، وأخرجه (أدهم) من المعركة بلكمة أخرى ساحقة ،

حطمت أسنان الإسرائيل ، وهشمت فكّه السفلى ، ثم عاد يتحرك في سرعة ، موجهاً فوهة مدفعه الرشاش نحو (شيمون) ، قائلاً :

— القائمة يا مسيو (شيمون) .

مسح (شيمون) غيظ الدم الذي انهمر من أنفه ، وانطلق الغضب في أعماقه هادراً ، فصرخ :

— النجدة يارجال ، إنه جاسوس .

وعلى الفور .. عادت الطلقات النارية تنهال كال مطر ، وصاح (شيمون) وقد أعماه الغضب عن السلاح المصوب إليه :

— لقد أخبرتك أنك لن تغادر المكان حياً أيها الشيطان .

وفي هدوء خرافي ، أدار (أدهم) فوهة مدفعه الرشاش إلى الدرّج الأيمن العلوي من مكتب (شيمون) ، وأطلق النار على قفله ، فتحطّم القفل ، وتحرك (أدهم) في سرعة ، وجذب الدرّج الذي سقط وتناثر محتوياته على الأرض ، فالتقط (أدهم) القائمة من وسطها .

صرخ (شيمون) في جنون ، حيناً رأى القائمة بين أصابع (أدهم) :

— لن تحصل عليها أمام عيني .

ثم نهض في حركة مفاجئة ليختطف القائمة من بين أصابع (أدهم) ، ولكن ذلك التصرف المفاجئ جاء بنتيجة لم يتوقّعها أحد ؛ إذ أصبح (شيمون) بهذه الحركة في مرمى نيران رجاله ، وقبل أن يتبته أحدهم إلى ذلك ، اخترقت رصاصات مدافعهم الرشاشة جسده ، وأردته قتيلاً على الفور .

صرخ (راءول) في جنون حيناً تبين ما حدث :

— يا للهول !! لقد أصبنا القائد .. لقد قتلنا زعيمنا ..

ويل لنا !!

صاح (شتاين) في انفعال :

— هذا الشيطان هو المسئول يا (راءول) ، لا بدّ من قتله .

ثم تلفت حوله وصرخ في غضب :

— أين (حام) ؟ ألم يسمع صوت الرصاصات ؟
 وفي هذه اللحظة .. كان (حام) يتسلل ، محاولاً
 بلوغ غرفة مكتب (شيمون) لمفاجأة (أدهم) ، على حين
 كان (أدهم) يحاول البحث عن وسيلة للخروج ؛ إذ أن
 مجرد حصوله على القائمة لا يعنى شيئاً ، لو أنه لم ينجح في
 إيصالها إلى المسئولين ، وكان الطريق الوحيد أمامه هو غير
 ردهة القصر الرئيسية ، وتحرك (أدهم) نحو باب
 المكتب ، محاولاً الانتعاد عن مرمى النيران التي تنهمر غزيرة
 غير النافذة ، واضطر في خلال ذلك إلى تحطى جسد
 (شيمون) الذي لقي مصرعه ، فغمغم :

— لقد كنت محققاً أيها الوغد .. إنني لم أحصل على
 القائمة إلا فوق جثتك .

ثم تحرك في هدوء ، وفتح باب المكتب ، وكانت في
 انتظاره مفاجأة ، فقد وجد نفسه وجهها لوجه أمام
 (حام) ، وفي لحظة واحدة أطلق كل منهما رصاصات
 مدفعه الرشاش نحو الآخر .

لم يكن الفارق بين سرعة الرجلين يتجاوز نصف الثانية ،
 ولكن هذا الفارق مكن (أدهم) من نيل خصمه أولاً ،
 فاخترقت رصاصاته جسد (حام) ، الذي ضغطت
 أصابعه على زناد مدفعه الرشاش في نفس اللحظة ،
 وانطلقت رصاصاته في مستوى منخفض ، ولكن اثنين منها
 اخترقتا فخذ (أدهم) اليسرى ، فسقط جسده أرضاً ، ثم



تحامل على ذراعيه ، ونهض بجر ساقه المصابة غير مبال بالآلام
 المبرحة ، ولكنه لم يكد يصل إلى باب القصر الرئيسي ،
 حتى اخترقته عدة رصاصات لم تصب إحداها (أدهم) ،
 وسمع صوتاً خشناً يقول بالعبرية :

— استسلم أيها الجاسوس ، وإلا فلن تغادر المكان
حيًا .

وبرعم آلامه وصعوبة موقفه ، إلا أنه ابتسم ساخرًا ،
ربما من القدر ، إذ أن عدم توقُّف إطلاق النار من الجانب
الآخر ، كان يعنى أن حراس البوابة المعدنية الثلاثة قد
استعادوا وعيهم ، وأنهم قد انضموا إلى المقاتلين .. وغمغم
(أدهم) ، وهو يحاول إيقاف الدماء التى تنهمر من
جراحه :

— تذى .. أيمكن لرجل مصاب أن يهزم خمسة أوغاد ؟
أم أنها النهاية ؟

ومع نهاية كلماته تحطَّم رتاج الباب الرئيسى أمام عينيه ،
إثر وابل من النيران انهمر حوله ، فأردف (أدهم) فى
سخرية مريبة :

— يبدو أنها النهاية .

١٠ — اللحظات الأخيرة ..

انتظر الحراس الإسرائيليون الثلاثة لحظات ، بعد أن
تحطَّم رتاج الباب الرئيسى للقصر ، حتى يأمنوا الجانب
الأخر ، ثم اندفعوا فى هجوم انتحارىّ يقتحمون القصر ،
وشاركهم (شتاين) ، و (راءول) الاقتحام فى نفس اللحظة
من نافذة مكتب (شيمون) ، والتقى الفريقان فى ردهة
القصر ، والتقت نظراتهم فى دهشة ، ثم صاح (آلون) :

— أين ذهب ذلك الشيطان ؟ هل تبخر ؟

تلقت الجميع حوهم فى حذر ، ثم أشار (راءول) إلى
خيوط من الدماء ، ينتهى خلف أريكة كبيرة فى وسط البهو ،
وقال :

— إنه يخفى خلف الأريكة ، لقد كشفت دماؤه أمره .

صوب الرجال الخمسة مدافعهم الرشاشة إلى
الأريكة ، وصاح (آلون) :

— أخرج من مخبئك أيها الرجل ، لقد كشفنا أمرك ،
وسنطلق رصاصاتنا عليك ما لم تستسلم .

ولمّا لم يتلقَ جوابًا ، صاح في غضب :

— أطلقوا النار يارفاق .

انهمرت رصاصات المدافع الرشاشة الخمسة على
الأريكة ، التي تحطمت تمامًا تحت هذا الوابل من النيران ،
واندفع الرجال نحوها ، ثم صاح (شتاين) في دهشة :

— لا أحد هنا ، أين ذهب إذن ؟

جاءه صوت هادئ ، تشوبه رنة ساخرة يقول :

— خلفكم تمامًا أيها الأوغاد .

استدار الخمسة في حدة ، إلى حيث برز (أدهم) من
خلف مقعد كبير في الطرف الآخر للبهو ، وارتفعت قوّهات
مدافعهم الرشاشة نحوه ، ولكن (أدهم) كان يمتلك زمام
المبادرة ، وانطلقت من مدفعه رصاصات قاتلة تعرف
طريقها جيّدًا ، وسقط (شتاين) ، و (آلون)
و (كيهان) صرعى يتخبّطون في دمانهم ، على حين

اخترقت رصاصتان ذراع (جاكوب) ، وتحطّم المدفع
الرشاش بين يدي (راعول) .

صرخ (جاكوب) وهو يحاول منع الدماء التي نزلت
بغزارة من جراحه ، على حين وقف (راعول) يتطلّع إلى
(أدهم) في ذعر واستسلام ، وشعر (أدهم) بالضيّق ،
فيرغم العديد من العمليات الحربية التي شارك فيها في حرب
الاستنزاف وحرب أكتوبر ، إلّا أنه كان يبغض القتل ،
ويحاول جاهدًا تلافيه كلما سنحت الفرصة ، ولم يكن
يلجأ إليه إلا دفاعًا عن حياته فقط ، وبدا الضيق في صوته ،
وهو يقول محدثًا الرجلين الباقيين :

— انتهى الأمر أيها السادة ، سنذهب جميعًا إلى السفارة
المصرية .

صاح (راعول) في ذعر :

— سنفعل كل ما تأمر به أيها السيّد .

لم يجرد (أدهم) في نفسه القدرة على الابتسام
أو السخرية ، فقال في لهجة جافة .

— ستضمّد جراح زميلك أولاً ، ثم ستقود أنت السيارة إلى هناك .

* * *

انطلقت سيارة (شيمون) السوداء في الطريق إلى قلب (باريس) ، يقودها (راءول) ، وإلى جواره (جاكوب) على المقعد الأمامي ، على حين جلس (أدهم) في المقعد الخلفي مصوّباً مسدسه إليهما ، كان يشعر بإعياء شديد من جراء الدماء التي فقدتها ، والحركة العنيفة المتواصلة منذ وصوله إلى باريس ، وأصابته الدهشة حينما تذكر أنه وصل منذ أقل من ست وثلاثين ساعة فقط ، إذ بدت له هذه الأحداث وكأنها استغرقت دهرًا كاملًا ، وأخذ يجاهد ليبقى عينيه مفتوحتين ، حتى لا يغفل عن مراقبة الرجلين ، ولكن (راءول) لمح محاولاته المستميتة من خلال مرآة السيارة ، فقال وهو يراقبه في إمعان :

— لن يمكنك المقاومة طويلًا ، سرعان ما تفقد وعيك .
كان (أدهم) يعلم أنه على حق ، ولكنه بذل مجهودًا خرافيًا ليتسّم في سخرية ، قائلاً :

— لن ترى ذلك أيها الوغد .
سأله (جاكوب) في توتر :
— ماذا يعني هذا ؟

أجاب (أدهم) في صوت خافت :
— يعني أنني سأطلق النار عليكما ، قبل أن أفقد الوعي تمامًا ؛ لذا فمن الأفضل أن تسرعا إلى السفارة المصرية .
زاد (راءول) من سرعة السيارة ، وأخذ يراقب الإجهاد الواضح على وجه (أدهم) في مرآة السيارة ، وهو يقول :

— هل ستلقون القبض علينا في السفارة المصرية ؟
ابتسم (أدهم) ابتسامة شاحبة ، وغمغم :
— لقد انتهت الحرب أيها الرجل ، ولدينا مئات الأسرى من جانبكم ، ولنا نحتاج إلى المزيد .

انحرفت السيارة في الطريق المؤدى إلى قلب (باريس) ، حيث السفارة المصرية ، وشعر (أدهم) أن إبقاء عينيه

مفتوحتين يحتاج إلى مجهود خرافي ، ولكنه قاوم الخمول الذي
سيطر على جسده ، وهو يقول :

— الشارع القادم إلى اليسار أيها الوغد ، هناك ستجد
السفارة المصرية .

انحرفت السيارة في الشارع الذي أشار إليه (أدهم) ،
وتوقفت أمام السفارة المصرية تمامًا ، فأسرع حرس السفارة
نحوها ، وأصابته الدهشة حينما رأى (أدهم) يصوب
مسدسه إلى الرجلين ، ولكن (أدهم) ناوله مسدسه
قائلًا :

— اتركهما ينصرفان أيها الجندي ، وأخير السيد
(رؤوف سعادة) ، أن (أدهم صبرى) يريد مقابلته لأمر
عاجل للغاية .

أسرع (راعول) و (جاكوب) يتعدان عن السفارة
المصرية غير مصدقين أنهما قد نجيا ، على حين نظر الحارس
في جزع إلى الدماء التي تغطى ساق (أدهم) ، وسأله :
— هل أذهب بك إلى المستشفى يا سيدي ؟ إنك
تنزف الدماء في غزارة .

قال (أدهم) ، وهو يحاول الابتسام :

— كلاً أيها الجندي ، ولكن أخبر السيد (رؤوف)
على وجه السرعة .

لم يكذب (أدهم) يتم عبارته ، حتى عجزت ساقاه عن
حملة ، وسقط بين ذراعي حارس السفارة المصرية فاقد
الوعي .

* * *

كانت أشعة الشمس تملأ المكان ، حينما فتح (أدهم)
عينيه ، وطلعه وجه الدبلوماسي المصري (رؤوف سعادة) ،
فغمغم وهو يتسمم :

— مرحبًا يا سيدي السفير .

ابتسم (رؤوف) وقال في لهجة تحمل الفخر :
— في خير حال أيها البطل ، كيف حالك أنت ؟
ودون أن ينتظر إجابة (أدهم) ، استطرد قائلاً :
— لقد أخرج الملحق الطبى للسفارة من ساقك
رصاصتين ، ولكنه يقول إن عظام الساق لم تمس ، ولقد

نقلنا إليك حوالى لترين من الدم طوال الليل ، ولقد أثار هذا الأمر كثيرًا دهشة الملحق الطبّي ؛ إذ أن فقدان هذا القدر ، كفيلاً بقتل أى إنسان على الفور .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— ربما لم يكن قدرى بعد ياسيدى .

اتسعت ابتسامة السفير المصرى ، وهو يقول :

— لقد أنجزت عملاً بطولياً ياسيد (أدهم) ، ولقد

عثرنا على القائمة المطلوبة فى ثيابك ، وأبلغناها إلى الخبايا المصرية على الفور بالشفرة ، وهم يقولون إنك وضعت حدًا لطغيان [القوة (أ)] .

ابتسم (أدهم) دون تعليق ، فعاد السفير يقول :

— ولكن لماذا أطلقت سراح الإسرائيليين اللذين

أجبرتهما على نقلك إلى هنا ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم ابتسم قائلاً :

— لأن أول ما سيفعلونه هو إخبار رؤسائهم بكشف

أمر [القوة (أ)] ، وبأن لدينا قائمة كاملة بأسماء أفرادها ،

وسيقوم رؤسائهم على الفور بالغناء ومنع أى عمليات اغتيال ، تم إصدار أوامرها من قبل ، ثم إن هذا سيلقنهم درسًا فى تفوق الخبايا المصرية ، وترفعها عن سلب حياة الأفراد ، وسيعلمون أننا نصل إليهم مهما بلغت دقة وسائل التخفى لديهم .

رفع السفير حاجبيه ، قائلاً :

— تفكير رائع منظم ياسيد (أدهم) .

ثم ابتسم وهو يرمقه بإعجاب مستطرذا :

— إنك تستحق عن جدارة لقب (رجل المستحيل) .



— رائع .

هتفت (منى) فى جدل ، وهى تغلق ملف عملية
[القوة (أ)] ، ثم تطلعت إلى (أدهم) صائحة :

— لقد كنت تقوم بعمليات رائعة قبل أن نعمل معاً
يا (أدهم) .

ترافقت ابتسامة خيثة على شفتى (أدهم) ، على
حين انفجر (قدرى) مقهقهاً ، وقال :

— عجباً .. كنا نظن نجاح (أدهم) يعود إلى صحبتك
إياه يا (منى) .

ظهر الغضب على وجه (منى) ، وقالت :

— هل تنكر أنه لم يفشل مرة واحدة فى أثناء عملنا معاً

يا (قدرى) ؟

عاد (قدرى) يقهقه ضاحكاً ، ثم قال :

— ولكن هذا كان يستلزم مجهوداً إضافياً يا عزيزتى .

التقى حاجبا (منى) ، وتقطب جبينها فى غضب ،
وهى تلثفت إلى (أدهم) قائلة :

— هل هذا صحيح يا (أدهم) ؟

قال (أدهم) وهو يكم ضحكته :

— فى الواقع .. لو أننا نظرنا إلى الأمور من الجانب
المشائيل ، فإن

قاطعت صائحة فى غضب :

— هكذا؟! أبعد أن قضيت إلى جوارك أكثر من شهر
وأنت فاقد الوعي

بترت عبارتها فجأة ، واحمر وجهها خجلاً وهى تقول :

— معذرة يا (أدهم) ، ما كان ينبغي أن أقول ذلك .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

— لا عليك يا عزيزتى ، إننى أراك رائعة دائماً ، حتى فى

لحظات الغضب .

ازداد احمرار وجهها ، وهى تغمغم فى حياء :

— أحقًا يا (أدهم) ؟

تضح (قدرى) فى ارتباك ، وقال :

— أين يقع مطعم هذا المستشفى ؟ إننى أتصوّر جوعًا .
أطلقت (منى) ضحكة مرحة فى محاولة للتغلب على
ارتباكها ، على حين ابتسم (أدهم) وهو يقول مداعبًا :
— رحماك يا (قدرى) .. إن وجبتك العادية ستحرم
نصف نزلاء المستشفى من وجباتهم لأسبوع على الأقل .
ارتجج جسد (قدرى) المكتظ وهو ينفجر ضاحكًا ،
ثم قال :

— كم أوحشتى دعاياتك يا صديقى .. إننى لم أعد
أتناول الكثير من الطعام منذ غيابك .
قال (أدهم) مداعبًا :
— يا للمسكين !! أراهن أن وجبتك لم تكن تتعدى
نصف طن من اللحم .

ابتسم (قدرى) فى خبث ، وقال :

— ولكننى كنت أوزعه على ثلاث وجبات .

ثم نهض مستطردًا :

— والآن .. أين يمكن تناول وجبة دسمة ؟

ابتسمت (منى) فى مكر ، وقالت :

— لو أننى تلقيت اعتذارًا مناسبًا ، يمكننى أن أعد
وجبة دسمة ، تتكوّن من الدواجن المحمّرة ، والأرز ،
(والمكرونه) ، والبفتيك ، واللحوم الباردة و .. .

قاطعها (قدرى) ، وهو يخفى وجهه يديه صائحًا :

— يا إلهى !! سأظل أعتذر ما بقى لى من العمر

يا زميلتى العزيزة ، لقد سال لعانى حتى كاد يملاً جوفى .

ثم عاد يتسم فى خبث ، قائلاً :

— ولكن هذا لا يعنى خطأ ماقلته من قبل .

ظهر الغضب على وجه (منى) لحظة ، ثم انفجر الثلاثة

ضاحكين ، وقالت (منى) فى مرح وهى تنظر إلى (أدهم) :

— فليكن يا (قدرى) ، المهم أننى سأعود قريبًا للعمل

ثانية مع (رجل المستحيل) .

[تمت بحمد الله]